اعظم جائزة

مساء الخامس عشر من ديسمبر. الاجراس ترن في غرف فندق دبلومات الفخم في القدس. الادباء الضيوف يتجمهرون في قاعة الفندق الرحيبة استعدادا للبدء في تنفيذ البرنامج المعد لهم. هذا المساء يفتتح مؤتمر "القلم" الدولي اعماله، بزيارة ودية لبيت الكتاب الاسرائيليين في القدس المحتلة. على احد جدران الفندق الرخامية تتحرك كاميرا تلفزيونية صغيرة بشكل يغطي المداخل والقاعة. لا بد انها جزء من الاجراءات الامنية لحماية الادباء الضيوف. لماذا الحماية؟ لان المسؤولين الاسرائيليين يعرفون مدى الغضب الذي يغلي في صدور الفلسطينيين على هذا الاستفزاز الوقح: افتتاح المؤتمر في العاصمة الفلسطينية المحتلة، ردا على قرارات اليونسكو العادلة ضد تشويه المحتلين لمعالم القدس العربية.

من حقنا ومن واجبنا الا نسكت عن فضيحة مؤتمر "القلم" الدولي .. لذلك فقد أعددنا مذكرة بالعربية والانجليزية، وكان علينا - صليبا خميس وانا- أن نوزع المذكرة.

في التاسعة مساء "تسللنا" الى بيت الكتاب الاسرائيليين في القدس المحتلة.

لاحظ احد رجال الامن المنبثين هناك -علاوة على الجنود المسلحين ورجال الشرطة- لاحظ اننا نتأبط كمية مبالغا بها من الاوراق.. وما هي الا لحظات حتى كنا مطوقين بالمسؤولين السائلين :"من انتما؟ " وحين عرفوا "من انتما" راح محفلط مزفلط منهم (مع الشكر للشيخ امام واحمد فؤاد نجم) راح يولول ويلوب: "جاءوا ليخربوا علينا! .. جاءوا ليخربوا علينا!"

بلا طول سيرة، دار حوار جاف ومقتضب:

- لن تدخلا!

- سندخل.

- لن توزعا المناشير.

- سنوزع..

في تلك اللحظات وصل ضيوفهم الاجانب وفي طليعتهم هاينريش بل الحائز على جائزة نوبل سيئة الصيت.

ابتدرناهم بالمذكرة واستوقفنا السيد بل لحديث جاف ومقتضب:

- انت هاينريش بل؟

- نعم.

- تهانينا على جائزة نوبل، لكن هناك جائزة اعظم، بل اعظم جائزة، جائزة النضال مع الشعوب المقهورة، ونحن شاعر وكاتب من أبناء الشعب العربي الفلسطيني المقهور الثائر، ونعتقد ان مكانك يجب ان يكون الى جانب شعبنا في نضاله من اجل الحرية والاستقلال، ونرجو ان تقرأ مذكرتنا هذه.

تناول "بل" المذكرة وهو يكرر "طبعا.. طبعا.. سأقرأ هذه المذكرة" .. وتساءل احد الكتاب الاجانب: "ولماذا لا تدخلان معنا؟"..

ورويتا لهم ما كان بيننا وبين رجال امن الاحتلال، وغادرناهم وشيء - لعله الدهشة - يختلط بملامحهم.

حين يصدر هذه العدد من "الاتحاد" تكون مذكرة اخرى قد "تسللت" الى الكتاب الاجانب عبر السياج الامني، غير ان هذا ليس كافيا، ونعتقد أن من واجبنا جميعا، أدباء وشعراء وقراء، ان نطارد هذا المؤتمر الاستفزازي ونفضحه محليا وعالميا..

«الاتحاد» ١٩٧٤/١٢/٢٠